باب المراسلة والمناظرة

قد رأينا بعد الاختبار وجوب فتح هذا الباب فخصصناهُ ترغيباً في المعارف وايهاضاً للهمم وتشحيذاً للاذهان . ولكنّ العهدة في ما يدرج فيهِ على اصحابهِ فضن برآء منهُ كلهِ . ولا ندرج ما خرج عن موضوع المقتطف ونراعي سعة الادراج وعدمهِ ما يأتي : (١) المناظر والنظير . متفقان من اصل واحد فمناظرك نظيرك (٢) انما الغرض من المناظرة التوصل الى الحقائق . فاذا كان كاتب اغلاط غيرهِ عظيماً كان المعترف باغلاطهِ اعظم . (٣) خير الكلام ما قلّ ودلّ . فالمقالات الوافية مع الايجاز تستحق على المطوّلة

نظر في معجم الحيوان

سيدي منشئ المقتطف

جاءتني الرسالة التالية من احد علماء بغداد وقد ابدى فيها نظرهُ في ما حققتهُ من اسماء الحيوانات بالعربية فرأيت ان انشرها واعلق ما اراهُ على كلّ مادة بمفردها الى جانب حرف ج . والمواد التي لا اعلّق عليها شيئاً اكون مسلّماً لهُ بصحتها . وبهذا لو ان مناظري اذن لي في نشر اسمهِ لكنهُ ابى عليّ ذلك

قال بعد مقدمة وجيزة تنم على فضلهِ وادبهِ وحسن ظنهِ بي : —

« على اني رأيتُ في بعض المواطن ما ارتبت في صحتهِ او بدا لي فيهِ بعض النظر لكن هذا الخاطر لا يدل على اني مصيب وانك مخطئ او بالعكس . بل على ان نظري غير نظرك ولعلنا نتفق اذا وقفنا كلانا في موقف واحد لننظر الى ذلك الشيء الذي وقع فيهِ النزاع او الاختلاف . وهذا الذي حداني الى ابداء ما عنّ لي في اثناء المطالعة فلعلك تتوسّم اردي برأيك او تصلح موقفي لنتفق والاّ . . .

« هذا واني مستعد لان ارجع عن غلطي لادنى اشارة تبديها في هذا الصدد والله الموفق الى سواء السبيل وهو نعم الوكيل

« ا البغام . الذي سمعتهُ في السودان هو البعام غالباً وسمعتُ انا اثنين يقولان البغام بالغين المعجمة وكلاهما فصيح لهُ وجه في العربية فالبعام بالعين المهملة مصحف عن البغام بالمعجمة وهو مأخوذ من بغم الثيل والوعل والايّل اذا صوّت تصويتاً غير فصيح وهو الصوت الذي يسمعهُ الانسان اذا ما وقف بجانب هذه الحيوانات . ومثل هذا الصوت تسمع من الفرد

المعروف بالبعام او البعام اذا ما وقفت قريباً منهُ »

ج · لا شبهة في ان عرب السودان الذين سمعتهم يسمون الشمبانزي بالبعام بالعين المهملة كما ذكرت في مقالتي · وقد اصاب مناظري في قولهِ انهُ سمي بذلك لتصويتهِ تصويتاً غير فصيح يثبت ذلك ما سمعتهُ من احد اهالي السودان بعد كتابة مقالتي وقد سألتهُ عن سبب تسمية هذا الحيوان بالبعام فقال لانهُ يُعجم فقلت ماذا تعني بذلك قال اريد انهُ لا يحسن النطق

« ٢ً الغورلاً · كنت قد بينت قبل ٢٥ سنة في مجلة الصفاء ان احسن لفظة عربية تراوف الغورلاً في القاموس (راجع مجلة الصفاء ١ : ٢١٣ وما يليها) »

ج · لم اطلع على المقالة التي يشير اليها ولا ارى مانعاً من تسمية الغورلاً بالطغموس وهو الخبيث من القطارب او الغيلان وقد اطلق العرب اسم الغول على الغورلاً او غيرهِ من القرود في بعض مؤلفاتهم · قال شمس الدين الدمشقي في كتاب نخبة الدهر في وصف جزيرة القطريبة : « وبها في ناحية منها بجبل عالٍ الشروع (؟) وهو الغول و يسمى القطرب تشبيهاً بتوحشهِ » وقال في وصف منابع النيل «وجدوا بجبل من جبال القمر الجان ظاهرين ووجدوا منهم طائفة تسمى السروع وهم الغيلان وان الغول الواحد منهم متوسط الخلق بين الجان والحيوان والانسان يتزيا في زي اي حيوان اراد تخييلاً للناظر اليهِ و يتكلم بكلام الادمي ويظهر بصورتهِ و يفترس كما يفترس السبع » الخ · واهل مصر في ايامنا يسمون الشمبانزي الغول

« ٣ً الانسان الوحشي · ذكرتهُ في معجمي باسم « الجبن » لان الجبن هو القرد في اللغة وهو مشتق من جبن : اذا امتلأ غضباً فعل بالكسر بمعنى فاعل وهذا القرد سريع الغضب عظيم الفتك وقد رأيت منهُ واحداً في حبي فتحقق عندي صدق ما قرأتهُ في صددهِ

« حاشية : زاجٍ في لفظة مصحفة عن زاجٍ بزاء منقوطة بعدها الف يليها باء موحدة تحتية وفي الآخر جيم · و يراد بها قارة جزيرة جاوة وطوراً صومطرة على ما استقر بيتهُ في مقالة طويلة · لان العرب كانوا يطلقون هذا الاسم على الجزيرتين كليهما في وقت واحد كما انهم اوردوها بعد ذلك بمعنى احدى الجزيرتين عند قوم و بمعنى الجزيرة الاخرى عند جماعةٍ وذلك في عصر آخر · وما جاوة وزاجٍ الا كلمة واحدة في لغة بعضهم على حدٍّ قولهم في « جيره » زيبق او زئبق · فالتصحيف واحد في اللفظتين جعلوا فيهما الجيم زاء والواو باء والهاء فافاً او جيماً كما هو مشهور في الالفاظ الفارسية الاصل · فكلمة زاجٍ اخذها اجدادنا عن الفرس وكلمة جاوة عن اهل البلاد بعد زمن معلوم

« واما اصطلاح المحدثين في بعض الالفاظ الدالة على تقسيم الحيوانات فعندي ان

Variety هو « التفاوت » لا « الصنف » فهذا هو Sub-genus و Family هو فصيلة و Order في الرتبة وكل ذلك اقرب الى العربية والى ما هو مشهور على الالسنة . وعلى هذا الوجه جريت في اكثر ما كتبتهُ في هذا البحث »

ج . الانسان الوحشي ليس اسرع غضباً من غيره من القرود ولكن لا بأس بلفظة الحين اذا اصطلح الكتّاب عليها

اما زاج فهي بالباء الموحدة كما ذكرها وقد كتبتها كذلك نقلاً عن كتاب عجائب الهند طبع اوبا لكنها ظهرت في الطبع كأن الباء فيها اقرب الى الياء . ولمارسل دافيك بحث في حقيقة هذا الاسم قال ان العرب يريدون بهِ جزيرة جاوة واطلقوهُ احياناً على ما وراثها من الجزر فقلت في الشرح ان زاج يراد بها جاوى او بورنيو . وقد اشار مارسل دافيك الى ان جاوى وزاج واحد في الاصل . كلّ هذا يثبت ما قالهُ مناظري

اما اصطلاح المحدثين في بعض الالفاظ الدالة على تقسيم الحيوانات والنباتات فلا خلاف في ان الجنس هو Genus والنوع Species والاصطلاح على ذلك قديم عند المنطقيين . بقي علينا الالفاظ الاخرى فقد اتبعت فيها المؤلفات المصرية وهي سابقة لمؤلفات المدرسة الكلية في بيروت وقد جرى احمد بك ندى وغيرهُ من الذين الفوا في هذه الفنون على الاصطلاح الآتي : — Class رتبة و Order فصيلة و Genus جنس و Species نوع و Variety صنف وجرى الدكتور بوست على هذا الاصطلاح في اول الامر ولا اعلم لاي سبب عدل عنهُ بعد ذلك فعبر عن Class بالصنف و Order بالرتبة و Variety بالتباين . وجرى الدكتور فانديك في كتاب النقش في الحجر على الاصطلاح المصري وكذلك الدكتور زلزل في كتاب تنوير الاذهان وهو الاصطلاح الشائع في مصر وعند اكثر الكتّاب في الشام . والصنف عند مؤلفي العرب اخص من النوع فلا يمكن ان يكون Sub-genus لانهُ اعم من النوع بل Variety . قال في محيط المحيط « الصنف عند المنطقيين هو النوع المقيد بقيد كلي عرضي كالتركي والعربي » الخ

واذا كان لا بد من العدول عن الصنف فافضل استعمال لفظة التباين التي اصطلح عليها الدكتور بوست لانها سابقة للفظة التفاوت في الاصطلاح وربما كانت اقرب منها الى المعنى المطلوب على انني فضلت الصنف لشيوع اللفظة واجتنابًا لاستعمال المصدر واذا اعترض على الصنف بانهُ لا يصاغ فعل منهُ لتعبير قولهم مثلاً Species vary فنقدر ان نقول الانواع تتباين . وعلى كلّ فاني افضل دائمًا الاصطلاح السابق لغيره ما لم يكن عليهِ اعتراض وجيه

بقي علينا الفاظ اخرى لا بد من الاصطلاح على اسماء عربية لها منها Sub-class و Family و Sub-family وعندنا اسماء عربية كثيرة يمكن الاصطلاح عليها كالضرب والطائفة والعشيرة والفخذ والبطن والرهط وما اشبه فان كان عند بعضهم اعتراض على لفظة العائلة فيمكن الاستعاضة عنها بالطائفة كقولنا طائفة الكلاب وطائفة القطاط

« ٤ القرد . الاحسن ان يقال ان القرد اسم عام مثل الفرنسوية Singe والانكليزية Ape واما Babouin الذي يجعل الافرنج في وصفهم له بقولهم : « قرد ضخم » فيقابلهُ قُرْدُوح واللفظ يدل عليهِ لانهُ مشتق من القرد مع زيادة الحاء في الآخر موزونٌ وزن فعلول مما يدل على ضخامته . وزيادة الحاء في آخر الالفاظ للدلالة على السعة والكبر والضخامة ذكرها كثير من اللغويين . ووزن فعلول للدلالة على التكبير او التصغير ظاهر من تتبع بعض الالفاظ واستقراء معانيها . وقد اشرت الى ذلك في معجمي قبل ٢٧ سنة وهكذا لا نحتاج الى تغيير معنى ما هو مشهور عن القرد كما لا نحتاج الى استعمال السعدان والميمون والبابون »

ج . ارى انهُ مصيب في قولهِ ان القرد اسم عام ولا بأس بتسمية هذا القرد الكبير الضخم بالقردوح لكن لفظة الرباح التي ذكرها فصيحة ولا تزال شائعة في اليمن وتطلق على هذا القرد الضخم P. hamadryas وقد تحققت ذلك من احد اليمانيين وذكرها فورسكال واهرنبرج وهمبرخ وغيرهم

« ٥ عندي الناس يوافق Monkey او Singe anthropoïde ou anthropomorphe وقد كتبت في سبب اصل هذه اللفظة انها من اليونانية nanos او nannos ومعناها القزم فكتبها العرب ناس بتخفيف الالف ثم صحفوها نساس والسبب في ذلك ان الاقدمين رووا الروايات الغريبة عن الانزام واخذلقوا فيهم كل فريق ومما ساعد على هذا الوهم والقول انهم من الخلق الغريب قرب اللفظة من نص ناس او نس ناس اي نصف انسان . وورود النص او النس بمعنى النصف قديم »

« ٦ الليمور . اصطلحت عليهِ باسم الهبّار او الهَوْبر وهو القرد الكثير الشعر وهو يوافق هذا الحيوان ولا سيما لان مادة ه ب ر توافق مادة و ب ر وكان اواحدة مصحفة عن الاخرى او لغة فيها . وهذا ما اشار اليهِ اللغويون من طرف خفي (راجع التاج في مادة ه ب ر . في قولهِ اذن مهوبرة) . ولما كان الليمور كثير الشعر وموجود في العالم القديم فالتسمية توافقهُ . وقد اشرت الى ذلك في معجمي الفرنسوي العربي

« ٧ً المصّامة . سميتها النزّافة لكفاية اللفظة معناها صيغة واشتقاقاً ولغة يقال : نزف فلان دمهُ استخرجهُ بحجامةٍ او فصدٍ او نحو ذلك

« ٨ً التلبا . الذي تيدتهُ في كتبي هو « فارة الغيطان » لا الخلد لكن لا اتذكر عن اي كتاب نقلت هذه اللفظة الاّ اني وجدت في دوزي نقلاً عن بكتور « فارة غيط Taupe » وكلا اللفظين لا يوافق كلة تلبا بيد ان الاصطلاح اذا كان مقبولاً في بلادٍ فالاحسن متابعتهُ لتعميم الاستعمال ولفظة « تلبا » بهذه الصورة منكرة في العربية فلو تحمل على وزن فَعْلة او فَعْلى لسهل مساغها »

ج . يراد بفار الغيط او فارة الغيط في مصر Rat ou souris de champs وما نقلهُ دوزي عن بقطر خطأ فالمسمى Taupe بالفرنسوية و Mole بالانكليزية لا وجود لهُ فيه مصر والشام و بلاد العرب وعليهِ لا اسم لهُ بالعربية وقد اشرت الى ذلك في مقالتي . ولا بد من تسمية هذا الحيوان باسمهِ اللاتيني اي التلبا او التلبة او التلبي او تسميتهِ بالخلد الاوربي تمييزاً لهُ عن الخلد المعروف في الشام بهذا الاسم والمعروف في مصر بابي اعمى وهو Rat-taupe بالفرنسوية

« ٩ً التنفذ . مستعمل في العراق كلمة بمعنى Hedgehog او Hérisson

« ١٠ً البر . هو عندي Tigre royal ولا يطلق على Tigre الاّ من باب التوسع . والذي وصفهُ العرب باسم البر هو ولا شك الاول لا الثاني . ويرادف البر : الفرانق (بالفاء) والبريد (راجع المشرق ١٣ : ٨٢٩)

ج . لا فرق في النوع بين المسمى Tigre والمسمى Tigre royal سوى كبر الجثة واختلاف قليل في اللون وكلاهما بر بالعربية و بلسان العلم Felis tigris وهذا الحيوان اصناف او تفاوتات او تباينات من نوع واحد فالمسمى Tigre royal اسمهُ العلمي F. tigris bengalensis اي البر البنغالي . ومن اصنافهِ الاخرى المغولي والفارسي وكل هذه الاصناف ترجع الى نوع واحد

« ١١ً النمر . عند العرب ورد بمعانٍ شتى وجاء بما يقابلهُ عند الافرنج Léopard و Panthère وهذان اللفظان يدلان على حيوانين مختلفين عند الافرنج ولو كانا متشابهين بعض الشبه ولمزيد التحقيق يقال في العربية النمر الصغير لما يقابلهُ Panthère والنمر الكبير Léopard »

ج . لا اعرف فرقاً نوعياً بين المسمى Panthère والمسمى Léopard فكلاهما نمر بالعربية

والاسم العلمي واحد اي Felis pardus لكن الافرنج يطلقون الاسم الاول على الصغير والثاني على الكبير منهُ و بعض الانكليز لا يقولون Panther مطلقاً بل يسمون الانثى Leopard

« ١٢ » قد كتبت في المشرق ١٣ : ٨٢٩ مقالة مطولة في عناق الارض وقد ذكرت اسماءهُ هناك وبينت ان الفرانق هو غير عناق الارض على التحقيق فليراجع . وفاتني من اسمائهِ العنفط فقط . واما الهيلاغ والطياغ والزغبر والزغبور فليست من اسمائهِ ولا ارى على اي مستند اعتمدت للذهاب الى هذا القول

« قال التاج في زغبر : الزغبور بالضم : سبع . والذي حكاهُ ابن دريد : زغبر ضرب من السباع . قال : ولا احققهُ . وصاحب لسان العرب لم يذكر غير الزغبر على وزن جعفر قال : وزغبر ضرب من السباع حكاهُ ابن دريد قال : ولا احققهُ . ولم يزد على هذا القدر

« واما الهيلاغ فالذي ورد في التاج الطياغ كجريال اهملهُ الجوهري وقال الليث : شيء من صغار السباع . وقال ابن دريد : ضرب من السباع وانشد الليث : وهيلاغها فيها معاً والفناجل (وهذا يدلك على ان الطياغ غير الفنجل والاَّ لما قال هذا القول) . وانكر الازهري الطياغ (بالغين) وقد تقدم ذكرهُ في العين . اه . وقال في العين : الطياغ : بالكسر : سبع صغير . قالهُ ابن فارس . او هو ذكر الدلادل . كما قالهُ العزيزي في تكملة العين . او الصواب بالغين المعجمة كما ذكرهُ الليث وابن دريد ونبه عليهِ الصاغاني اه . ومثل هذا القول قال اغلب اللغويين . وذكرت ايضاً الهيلاغ بياء بين الهاء واللام . ولعلم اللغة لم يذكرها احد من اللغويين فهي ولا جرم من غلط الطبع

« وذكرت من اسماء عناق الارض في ص ٩٢٦ الغرغور وقلت انها وردت في كتب اللغة . والحال اني لم أرها الاَّ في محيط المحيط للبستاني . وفي اقرب الموارد للشرتوني . وهذا اخذها عن ذاك بدون تبصر . وعندي اغلب كتب اللغة من كبيرة وصغيرة فلم اجدها وعلى كل حال اني لم اظفر بمن ذهب الى ان الغرغور هو التفه . ومن الاسماء التي اوردتها بهذا المعنى اليَعْر بالغين المعجمة ولم يذكرها احد من اللغويين بل الدميري فقط ونقلها عنهُ صاحب محيط المحيط . وقال الدميري : اليَعْرُ (بالعين المهملة) دابة تكون بخراسان تسمن على انكد . وقيل : هي بالغين المعجمة . اه . وعلى كلّ حال اني لم اجد من ذهب الى ان اليعر هو عناق الارض ومن المحال ان يكون ذلك لانهم قالوا في تعريف اليعر انها دابة تسمن على انكد وهذا لا يصح ابداً في التفه او عناق الارض . وانما اليعر او اليعر هو Tah »

ج . قرأت المقالة التي يشير اليها في حينها وهي فريدة في بابها الاَّ انهُ وصف فيها

حيوانين مختلفين تمام الاختلاف فانهما واحداً وهما الغرير Meles وعناق الارض Félis caracal ولاشبهة عندي انهُ متى اعاد النظر في ما كتبهُ وما كتبتهُ في هذا الموضوع يسلم بصحة قولي ويجد ان عناق الارض هو المسمى Caracal عند الافرنج بل اللفظة الافرنجية نفسها مشتقة من قره قولق التركية ومعناها اسود الاذن وهو اسم عناق الارض بالتركية كما اجمع عليهِ مؤلفو العرب والفرس والترك وهذا الحيوان نوع من الوشق Lynx كان العرب والفرس يصيدون بهِ ولا يزال الفرس والهنود يصيدون بهِ الى يومنا ويسمونهِ الفرس سياه كوش اي الاسود الاذن كما جاء في الشواهد التي ذكرها وذكرتها ولا سيما ما جاء في تاج العروس وعجائب المخلوقات وحياة الحيوان الواردة في حياة الحيوان . وقد اصاب كاز يميرسكي في قولهِ ان عناق الارض Karakal وكذلك كتّاب العرب سيء قولهم انهُ المسمى سياه كوش بالفارسية لانهم كانوا يعرفونهُ تمام المعرفة . وافرد لهُ السيد محمد المتكلي فصلاً في كتابهِ المسمى انس الملا بوحش الفلا وقد كان يزاول الصيد ويعرف هذا الحيوان تمام المعرفة وقال ان اسمهُ سياه كوش بالفارسية وعناق الارض بالعربية

اما الفرانق فوهذا الحيوان بعينهِ لا البر يثبت ذلك ما نقلهُ مناظري عن البرهان القاطع قال « سياه كوش نوع من الحيوان اسمهُ بالتركية قره قولق تتخذهُ ملوك ايران للصيد ويلازم الاسد كل الملازمة ويحاربهِ عدواً » وقال في مادة پروانك « هو الحيوان الذي يقال لهُ قره قولق الذي يصيح بين يدي الاسد كأنهُ ينذر الحيوانات بهِ » . وقال ريشاردسن في معجمهِ في تفسير پروانك A small lynx with ears tipped with black hairs لكنهُ ترجم الفرانق العربية Tigris نقلاً عن مؤلفي العرب . والفرس ادرى الناس بوصف هذا الحيوان فقول بعض مؤلفي العرب انهُ البر خطأ والصواب انهُ المسمى سياه كوش

قلت في مقالتي لا ادري مصدر هذا الخطإ في ترجمة عناق الارض Badger ولعلهُ من بوشار Bochart في كتابهِ المسمى Hierozoicon ولكني لم اطلع على هذا الكتاب

اما الطباغ والمباغ والزغبر فقد اخذتها عن المخصص (٨ : ٧٤) قال الخنجل والخُنجل والقنجل والطباغ والمباغ والزغبر ضرب من السباع » واورد هذه الالفاظ كلها بمعنى القنجل وهذا الاخير لا خلاف في انهُ عناق الارض

وقلت ان الزغور ورد في كتب اللغة واريد بذلك انهُ ورد في بعضها اي في محيط المحيط واقرب الموارد لكنني لا اعلم مصدر لفظة الزغور في محيط المحيط وقد ورد فيهِ اسماء

كثيرة لم ترد في غيره من كتب اللغة ولا شبهة في انها عربية فصيحة لا تزال شائعة في بلاد العرب كاسماء بعض الاسماك التي اخذتها عن فورسكال ولا اظن صاحب محيط المحيط اخذ هذه الاسماء عنهُ لان في كتاب فورسكال الفائدة لم يذكرها

وقلت عن اليغر انها مصحفة على الغالب عن شغر الفارسية وشغر هذه معناها الغرير Badger والغرير يوصف بالسمن على الكد او الضرب وهو مثل مشهور في الشام. اما الحيوان المسمى Yak فهو القطاس والقوتاش وقد ذكرتهُ في الصفحة ١٠٦٧ من المجلد السابع والثلاثين من المقتطف نقلاً عن كاترمير

الخلاصة ان التفه وعناق الارض والغنبل والفرانق هو المسمى سياه كوش بالفارسية وقره قولق بالتركية و Caracal عند الافرنج . واليغر والغرير الخ هو المسمى Meles عند علماء الحيوان و Badger بالانكليزية و Blaireau بالفرنسوية

« ١٠٣ : ذكرت التفا بمعنى Felis chaus وقد ذكرت حقيقة هذه اللفظة ومعناها في المشرق ١٣ : ٨٢٤ ولهذا فالاصح ان التفا غير التفاء — ولذا فلتبقَ كل لفظة على مسماها وكم من الالفاظ المتقاربة في الحروف والمخارج والمعاء والمعنى بعيد بعد الثريا عن الثرى . وكم من الاضداد في العربية وهي في طرفي نقيض »

ج . قرأت ما ذكرهُ عن التفا لكن الدميري قال ان التفا دابة تشبه السنور وقلت ان التفا في مصر هو Felis chaus اي Jungle-cat وقد ترجم الكولونل جايكر لفظة التفا في الدميري F. chaus وقال ان التفا يطلق في مصر على هذا النوع من القطاط

« ١٠٤ : الوشق قلت عنهُ : « وهذه اللفظة لا وجود لها في ... كتب اللغة » قلت : وهي موجودة في التاج قال : الوشق : دابة تتخذ منها الفراء الجيدة . استدركهُ المحب ابن الشحنة على قاموسهِ » اه . والكلمة من اصل فارسي وهي عند الفرس : وشاق . راجع معجم اسكندر خجري الفرنسوي العربي الفارسي التركي في مادة Lynx قال ويسميهِ الترك وشق وواشاق . والعرب وشق . والفرس وشاق . وذكرها ايضاً O. B. Nicolas في معجمهِ الفرنسوي الفارسي »

بغداد سائلنا

هذا ما كتب اليَّ بهِ مما يشهد لهُ بالفضل والادب ودقة البحث وسعة الاطلاع واني اشكر لهُ تنبيهي الى كثير من الالفاظ التي لا ريب عندي انهُ مصيب فيها وحبذا لو نبهني قراء المقتطف الى ما يجدون في هذه المقالات من الخطإ فربما جمعتها على حدة بعد تنقيحها

الدكتور امين المعلوف

أثر ادبي

لاحد الاذكياء النبهاء من اغنياء بيروت الزهراء

مما تهش لهُ روح الادب وتبتهج بهِ نفس العلم طلوع ضياء عقليّ من بيت ثروة ووجاهة ولا سيما في ارض يتقضى على من بها من اهل الادب وارباب القلم السنون الطوال لا يجدون لهم في خلالها من سكّان القصور الشاهقة رفيقاً ولا من عمّار الدور الفيحاء رصيفاً او شفيقاً يستأنسون بهِ في طرقهم او يستعينون بهِ في اعمالهم فيعينهم على استجلاء الغوامض اما بحلّ واما بما جمعت خزائنهُ من الكتب النفيسة فان نابتة المتمولين عندنا وان طلبوا العلم في المدارس فمتى خرجوا اعرضوا عنهُ وجفوا اهلهُ وخدمتهُ واقبلوا على ما يقصيهم عن طرقهِ وينأى بهم عن مذاهبهِ فتضيع بضائع الادب وآثار اقلام الادباء كاسدة عند من لا يرجو للعلم نصرة دون حناوشهم

فهؤلاء ان لم تجفُ قرائحهم وتنطفئ انوار معارفهم فلا اقلّ من ان يكون الباقي منها ضئيلاً حقيراً تسجل آثارهُ على العصر حكم التأخر وتسم جبهتهُ بسمة التقهقر. ألا وان العلوم لا تبلغ اوج الاتقان الاّ في ديار يكثر فيها من يكون مصداق قول ابي تمّام الطائيّ

اذا العيس لاقت في أبا دُلَفٍ فتىً تقطّع ما بيني وبين النوائبِ

اما بعد فذلك الاثر الادبي او المولود العقلي هو الكتاب الموسوم بـ « الجامعة الوطنية » الذي لو نشر غفلاً غير منسوب الى احد لعلم من يطالعهُ انهُ لرجلٍ لا يتعلق بالترهات ولا يتمسك باذيال الخيالات ولعلم انهُ مجرّب حنكتهُ الايام وجمع بين سعة الدنيا وسعة الاطلاع وقوة الاستنتاج وحسن النظر في احوال العمران ولا غرو فان المصنوع يدلّ على صفات الصانع كما تدل الثمرة على الشجرة

فواضع هذا الكتاب وهو ابرهيم بك بن المرحوم يعقوب ثابت احد كبار اهل الثروة في بيروت الزهراء قد قرأ نفائس كتب الافرنج والانكليز وزار قواعد الممالك الاوربية والتقى خلقاً من العظماء والوزراء وجالس العلماء والادباء وكبراء الاغنياء وانغمر في الاعمال التجارية ونظر في الامور الزراعية والسياسية . ولما ان تمّ لهُ الوقوف على مبادىء الدول ومصايرها واحوال الامم الخالية والحاضرة واستوفى البحث عن دواعي الارتقاء والانحطاط في الممالك البائدة والباقية دفعهُ ما في صدرهِ من الحبّ لبلاد نبت فيها واخلاص لمملكة يستظل تحت

عملها الى ان يتحف الوطن بعد الغوص في بحار تلك المؤلفات الممتعة والجولان في مجالات تلك المباحثات المثيرة بما استخرج من دُرر الفوائد التي جمعها كلها في هذا السفر المسمّى « الجامعة الوطنية »

فكان مثل هذا الباحث الاجتماعي مثل الشجرة الطيبة النابتة في بقعة كريمة المتوفرة لها اسباب النماء . وكان كتابهُ ثمرة عقل ذكيّ توغّل في البحث عما يعود على الوطن العزيز بالفلاح من مثل النظر في تحديد السياسة الاقتصادية وسياسة الانسان الخصوصية وسياسة الشعوب الداخلية والخارجية والنظر في احوال العصور القديمة من لدن انتظمت الاجتماعات الانسانية الى سقوط المملكة الرومانية الغربية الى ما يشابه ذلك من الفصول الغزيرة الفائدة الدالّة على بعد النظر في عواقب الاحوال من مثل مقالتهِ في الدستور والشرق الادنى ومن كلامهِ في تعديل نظام لبنان قولهُ في وجوب كون المتصرف متيداً « وما كان جائزاً منذ خمسين سنة بسط المتصرف على الادارة والعدلية والمالية والجندية وكامل مهام الحكومة اللبنانية يعدّ الآن ضرباً من الظلم والاستبداد بحيث اذا بُلي الجبل بمتصرف احمق او مرتكب يخربهُ وان كان ضعيفاً اخربهُ الموظفون كما شاهدنا ذلك فعلاً حتى الآن »

هذا وان الجامعة كتاب سهل المتناول على القرّاء حتى العوامّ فمن يطالعهُ يشارك صاحبهُ في معلوماتهِ و ينتفع بها كما ينتفع من في البيت بنور المصباح ولو لم يكن ملكهُ ولا موقدهُ فيفيض اذ ذاك بالثناء على المؤلف الذي جمع لاهل زمانهِ خلاصة ما جاء عن الحكماء وزبدة ما تضمّنتهُ كتب اهل السياسة العقلاء في كل شأن تصدى للكلام فيهِ ولا يعرف ذلك الاّ من اقبل على مطالعتهِ بدقة نظر وحسن تأمل

هذا وبما ان صاحب الجامعة الوطنية ممن يحبّون جميل الذكر في الدنيا وجزيل الثواب في الآخرة فلا يُستبعد ان يجود في سبيل العلم من ثروتهِ المالية كما جاد على الناس من ثروتهِ العقلية ولا سيما وفيهِ من المروّة والرحمة وكرم النفس ما لا بدّ ان يدفعهُ للاتيان بأنواع من الخير والاحسان مما يخلّد لهُ الذكر على وجه الزمان . اطال الله ايامهُ و بلّغهُ من نفع البشرية اعلى مكانة بمنّهِ وكرمهِ

سعيد الخوري
الشرتوني

بيروت